الفصل الأول

الإطار النظري والمنهجي لدراسة الريف

أولًا: الإشكاليات المنهجية المتعلقة بدراسة الريف

لا يكاد يخلو أي كتاب مختص في دراسة موضوعات الريف والقرية والبادية والمحلي من إشارات متفاوتة الأهمية إلى بعض الصعوبات المنهجية التي تعترض دارسي هذه المباحث. ويمكن تلخيص هذه الصعوبات في العناصر التالية:

- مشكلة مفاهيمية تتأتى من مدى دقة وتمثيلية بعض المفاهيم المستخدمة وفقدان بعضها لصلاحيتها بعد حصول تحولات جذرية في الفضاء وفي المعارف الدّارسة لها.
- إغفال بعض الدارسين للأبعاد التاريخية والتراثية في دراستهم للريف والقرية، وخاصة تلك الدراسات التي تندرج في سياقات بحثية استشارية تنزع إلى الاهتمام بالمعيش والمعاصر خارج سياقه التاريخي.
- عدم انفتاح بعض الدراسات على العلوم المجاورة من علوم فلاحية أو تاريخية أو اقتصادية أو جغرافية أو أنتربولوجية أو سوسيولوجية أو لسانية، فدارس المجال الريفي مطالَبٌ بالاستفادة من هذه التخصصات نظرًا لاشتراكها في معالجة المجال الريفي جغرافيًّا وتاريخيًّا وسكانيًّا واقتصاديًّا.

● هيمنة إحدى المدارس المرتبطة بسوسيولوجيا الريف كالمدرسة الفرنسية أو المدرسة الاشتراكية أو المدرسة الانجلو سكسونية أو غيرها، وما يتبع ذلك من إمكانية التسرب الأيديولوجي المرتبط بالتوجهات والمقاربات السياسوية في التنمية.

● الشح في المادة الإحصائية والوثائقية لدراسة أرياف تخرج من نوع من التصحر الدراسي (المعرفي) بعد تهميش دام قرونًا، وخاصة بالنسبة لأرياف البلدان النامية.

● المخاطر المعرفية المتأتية من التساهل الملحوظ في دراسة المبتدئين والهواة والمغامرين للقرى والأرياف والمجتمعات المحلية من منطلقات عديدة دون التسلح بالمنهج العلمي والتخصص الدراسي. ويكمن مصدر هذه المخاطر أيضًا في تصور شائع للدور النفسي والثقافي الذي يخلو من نزعات ذاتية غير موضوعية رغم أن المنوغرافيات المنجزة محليًا تساهم في تصحيح المعلومات الخاطئة وتسد الفراغات المعرفية حول المجموعات المحلية.

● ما يكتنف دراسة المحلي من محاذير الإغراق في المحلية والتحيز للذات الباحثة وجماعتها إن كانت تنتمي إلى مجال الدراسة، ويعتبر الوقوع في تنميق الوقائع وتلفيق التفسيرات ووضع المبررات من أخطر الانزلاقات المنهجية في دراسة المجتمع المحلي ومجموعاته.

● إشكالية ضبط المجال المدروس من المحلي، فالمجال الريفي، البنية القروية والمجموعة السكانية موضوعات خاضعة للتغير والتبدل لطبيعة تكوينها. وهي مجالات يصعب تحديدها بدقة لأنها لا تعرف الثبات، فما يعتبر مجالًا قرويًا قد يخضع بعد فترة زمنية إلى تغير يتحول في اعتبارات الإداريين أو الباحثين أو السكان المحليين إلى مدينة أو شيء آخر. ومن القرى ما اضمحل، ومن البوادي ما تحضّر، ومن الحواضر ما تبدّى بفعل عوامل الإنسان والطبيعة وبتأثير فعل معايير الزمان والمكان.

كما تطرح التقسيمات والتسميات والتحديدات إشكاليات أخرى في دلالاتها ومعاييرها ورموزها باختلاف المرجعيات الثقافية والسياسية للدول والمجتمعات والمنظمات. وهذا ما قاد إلى تغير المؤشرات التي كادت تربك الباحثين وتضعف من مصداقية السوسيولوجيا الريفية.

ثانيًا: موضوع علم الاجتماع الريفي ومجالاته

يهدف علم الاجتماع الريفي إلى الدراسة العلمية المنظمة لسكان الريف باعتبارهم جماعات متفاعلة مع بعضها ومع محيطها، كما يهتم بدراسة العلاقات الاجتماعية القائمة بين سكان الريف من أجل التعرف على خصائصهم وعلاقاتهم ونظمهم الاجتماعية. كما يركز بصفة خاصة على دراسة المشاكل التي تواجه عادة تنمية المجتمعات الريفية[1].

وإذا كان موضوع علم الاجتماع الريفي قد شهد تبدلًا جزئيًا فرضته التحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي عرفتها البنى الاجتماعية في المجتمع، حيث ارتبط بالحياة الريفية بمعناها العام بما في ذلك بقايا المجتمع البدوي بل وحتى بالحياة التقليدية عامة، فإنه اليوم أصبح يرتبط ارتباطًا وثيقًا بنمط الإنتاج وأسلوب العيش الفلاحي. وكذا توسع مجال الاهتمام خلال نصف القرن الأخير بموضوعات المجتمع المحلي والبيئة وحياة الريفيين في المدن.

لقد تحدث بعض الدارسين في العقود الأخيرة عن غياب مفهوم الريف والريفيين إثر زحف نمط الحياة الحضرية على المجال الريفي. ذلك ما تعبر عنه

---

(١) لوجلي صالح الزوي: علم الاجتماع الريفي، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي - ١٩٩٨م، ص ١٣.

التغيرات الحاصلة في نمط المسكن وثقافة الغذاء واللباس والتجهيزات المنزلية وغيرها[٢]. كما ظهرت في السنوات الأخيرة في عدة بلدان إشكالية التداخل بين المجالين الحضري والريفي والصعوبات المنهجية التي فرضتها على الدارسين. كما تحدث بعض الباحثين العرب عن ظاهرة **"ترييف المدن"** وظاهرة **"تمدن الريف"**[٣].

ورغم البدايات المتعثرة لانتشار مفهوم **"علم الاجتماع الفلاحي"** أو **"علم اجتماع الزراعة"**(La sociologie de l'agriculture) الذي عرف طريقه إلى بعض الأقطار الأوروبية التي شهدت عملية تصنيع واسعة للقطاع الفلاحي، فقد شهدت أوروبا تطورًا ملحوظًا لعلم الاجتماع مثل إيطاليا وفرنسا واسبانيا. مع ذلك فإن العالم يشهد اليوم شبه إجماع على اعتبار أن المجال الريفي بما يضمنه من أنشطة فلاحية وغير فلاحية هو المجال الحقيقي لأبحاث علم الاجتماع الريفي. **ولم يعد مفهوم الريف، كما الفلاحة، مرتبطًا بأحكام قيمية تحيل إلى المحافظة والانغلاق ومقاومة التغيير**، بل أصبح المفهوم على العكس من ذلك مشحونًا في الاستخدام اليومي بمضامين إيجابية، فقد تقلص التعارض بين الريف والمدينة الذي كان متغلّبًا على علاقات السكان ببعضهم البعض في البلاد العربية. ذلك أن الحضريين غيّروا من نظرتهم السلبية للريف حيث يوصف الإنسان الجاف أو الجامد أو "المتخلف" بأوصاف تحقيرية تحيل إلى الريف مثل "جبري" "مصطلح محلي يعني التخلف" و"جاي من الجبل" أو بدوي أو صحراوي وغيرها.

---

(٢) لقد ذهب هنري مندراس (H.Mendras) في كتابه، La fin des Paysans éd. Actes du Sud, Badel, Paris, 1984. إلى اعتبار أن المجال الريفي لم تعد له دلالة إلا من خلال وجود المدينة.

(٣) مصطفى عمر التير وسليمان مانه ومحمد الزرقاني: أنماط التكيف الاجتماعي في القرى الزراعية الجديدة، بيروت، معهد الإنماء العربي، ١٩٨١م.

ولم تعد طريقة نطق كلام الريفيين "الحضريون الجدد" تثير اشمئزاز أهل المدينة كما كان الحال في ماض كان فيه الريفي يحتشم من ريفيته[٤]. وكان لذلك أبعاده التاريخية حيث لم يعد الريفيون مجرد أفراد "آفاقيين" "أي القادمين من الآفاق البعيدة" أو "برانيين" "أي الخارجي عن المدينة" كما كانوا يعتبرون في عهود سابقة وخاصة مع تغير الأدوار وانتشار التعليم.

هذا التطور الذي عرفته مسيرة الاعتراف بعلم الاجتماع الريفي وبالتالي بالمجتمع الريفي[٥]، أفضى إلى عدة إشكاليات منهجية سببها الأساسي العلاقة المرجعية لمباحث هذا العلم بالاختيارات التنموية والسياسية للدول الحديثة من جهة والتداخل المربك بين الفضاء الريفي والفضاء الحضري الناتج عن الإجراءات الإدارية المتبدلة من جهة أخرى. كما أن التعريفات الحديثة للمجتمع الريفي تختلف اليوم باختلاف الفضاءات والدول المنضوية تحتها. ويمكن تلخيص هذه التعريفات الشائعة في العالم فيما يلي:

١- التعريف الإداري: وينطلق من اعتبار أن الفضاء غير الريفي هو كلّ المناطق الحضرية التابعة لإدارة محلية مدنية والعكس بالعكس. وهو تعريف سائد في أغلب الأقطار العربية. تستخدمه عادة بعض الدول على أساس تقسيم المواطنين إلى مجموعات تنتمي إلى فضاءات إدارية، بصرف النظر عن نشاطاتهم الاقتصادية أو عددهم.

---

(٤) يمكن الرجوع إلى جلال التليلي "صورة الريفي في الثقافة الشعبية والثقافة المدرسية" في مجلة "الكراسات التونسية" العدد ١٨٠، ٢٠٠٢م.

(٥) محمد نجيب بوطالب، الفلاحة والمجتمع الريفي، مركز النشر الجامعي، تونس، ٢٠٠٥م، ص ١٤.

٢- التعريف الإحصائي: وينتشر في الولايات المتحدة الأمريكية بشكل أساسي وتستخدمه عادة مكاتب الإحصاء والتعداد، حيث يعتبر كل تجمع سكاني ريفيًا إذا قل عدد سكانه عن ألفين وخمسمائة نسمة، حتى ولو كانوا لا يعملون أساسًا في مهن الزراعة.

٣- التعريف الإحصائي الإداري: وهو تعريف يجمع بين المعطى الإداري الذي يقوم بتقسيم البلاد إلى مقاطعات ذات أحجام مختلفة وبين المعطى الإحصائي الذي يحدد تلك المقاطعات بعدد السكان المتراوح بين ألفين وثلاثة آلاف ساكن.

٤- التعريف الاقتصادي: وهو تعريف يعتمد على تقسيم السكان إلى مهن تهيمن على مناطقهم ويسود في أغلب البلدان الغربية، وتتلخص هذه المهن في ثلاثة أنواع هي:

أ) مهن تقوم على استخراج أو إنتاج المواد الأولية مثل الزراعة والصيد واستخراج المعادن.

ب) مهن تقوم على الصناعات التحويلية للمواد الخام إلى مواد صناعية مثل صناعة النسيج والصناعات الغذائية وغيرها.

ج) مهن يمارس أصحابها النشاط في الأعمال الخدمية العامة مثل أعمال الإدارة والتعليم والبنوك والمحاماة وغيرها.

٥- التعريف المرتبط بالعمل الزراعي: وهو الذي يعتبر كل من يشتغل في القطاع الزراعي ريفيًا بغض النظر عن حجم العدد. وهو تعريف سائد في أغلب البلدان الآسيوية والإفريقية.

هذه الاعتبارات ليست دومًا دقيقة وهي رغم أهميتها نسبية لتغيرها فضلًا عن عوامل التداخل بين المجال الريفي والمجال الحضري.

إن الريف مجال دقيق المعنى سريع التبدل، خصوصًا في الفترات الأخيرة حيث تنتشر نظم الاقتصاد الاستهلاكي بشكل واسع، وتكتسح تكنولوجيا الاتصال كل الفضاءات، فتحدث تـحولًا جارفًا في نظم الاقتصاد والثقافة وفي البناء الاجتماعي وفي القيم.

ثالثًا: نظريات ومدارس علم الاجتماع الريفي

١ - مدارس علم الاجتماع الريفي

أ) المدرسة الفرنسية

يعتبر كل من بلاسيد رامبو Placide Rambaud وهنري مندراس Henri manadras وردفيلد Redfield وريفرز Rivers من أهم علماء الاجتماع الريفي الذين اهتموا بدراسة موضوع القرية في السوسيولوجيا المعاصرة.

ويتميز بلاسيد(٦) بتعريفه العلمي الإجرائي للقرية باعتبارها وحدة اجتماعية لها خصوصياتها الكامنة في متانة العلاقة بين الحياة الاجتماعية وبين الفضاء بما ينتج تضامنًا داخليًا في المجتمع القروي وخارجيًا مع المحيط القريب منه والجماعات المشابهة له. ويتكون المجتمع القروي من مجموعة من الأنساق القرابية والاقتصادية والسياسية والتربوية والدينية. ويمثل الفضاء عند رامبو أحد أهم مكونات القرية التي تتغير بتغير هذا الفضاء.

---

(٦) كان رامبو مديرا للدراسات بالمدرسة العليا للعلوم الاجتماعية [EHESS]، أسس بها مركز علم الاجتماع الريفي (١٩٢٢- ١٩٩٠م) خصص أهم أعماله بعد سنة ١٩٨٠م لدراسة السياسات الزراعية وذلك في إطار تكوين الاتحاد الأوروبي انظر:

Placide Rambaud, les fondements de l'Europe agraires, textes présentés par Rose - Marie Lagrave et Monique Vincienne, l'Harmattan, coll « Alternatives rurales », 1995, p 212.

وتتخذ علاقة الجماعة القروية بالفضاء الجغرافي شكلًا ثقافيًا هو الذي يدفع إلى اختلاف القرى وتنوع أشكالها وأنماطها[٧].

وتتجه أغلب دراسات علم اجتماع القرية في العالم إلى تغليب نموذج القرية الأوروبية (الفرنسية، الإيطالية، الاسبانية...إلخ) باعتباره النموذج الأكثر دراسة، وخاصة بعد خضوعه لتغيرات جذرية بعد الثورات العلمية والاجتماعية التي عرفتها تلك البلدان.

ويمكن اعتبار دراسات كل من مندراس ورامبو منطلقًا لهذه الدراسات فكلاهما حدّد خصائص تطور القرية الفرنسية ما بعد الحرب العالمية الثانية وفي سياق انتشار التصنيع، إذ يرجع رامبو بالقرية إلى "الجماعة الريفية" التي بدأت تتفكك مع الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م وما لحق ذلك من تحولات سريعة أفرزها القرن التاسع عشر، فالجماعة الريفية التي كانت تتميز بالهيكلة الفضائية والتمحور حول مركز جغرافي مغلق هي التي شكلت القرية، فقد كانت القرية تعتمد على ملكية الأرض والاستغلال الجماعي لها وسرعان ما توسعت على حسابها الملكية الخاصة والاتجاه إلى وضع الحدود وتنوع النشاطات في الوحدات الفلاحية العقارية.

وهكذا بدأ الريف الأوروبي ينتقل من وضعية "الوحدات الاقتصادية والعقارية والسياسية المستقلة" إلى وضعية الانفتاح على المحيط والارتباط بالمركز الرأسمالي، كما بدأ التمركز حول المؤسسة الدينية "الكنسية" يترك مكانه لقوى سياسية واجتماعية جديدة ترتبط بالمحيط الجهوي والمركزي بعلاقات مدنية.

---

(٧) أشغال المؤتمر العالمي الرابع عشر لعلم الاجتماع، بوخارست ١٩٣٨م الذي خصص لموضوع القرية والمدنية.

كما بدأ الانتقال من ضغط الجماعات العائلية إلى حرية الأفراد في امتلاك العقارات وإقامة المشاريع في سياق التخلي عن نمط الاكتفاء الذاتي القروي الذي خضع إلى عملية تقسيم جديدة للعمل تربط الفضاء والمجموعة المقيمة عليه بفضاءات وقوى اجتماعية أوسع وأكثر تنوعًا.

أما **الخصائص التاريخية للقرية الأوروبية** حسب بلاسيد رامبو فتُلخص في العناصر التالية:

١- فضاء مغلق ومحدد للجماعة القروية.

٢- هيمنة النشاط الأحادي على نسق الاقتصاد المحلي.

٣- قوة العلاقة التكاملية بين الجماعة القروية والفضاء الترابي.

٤- متانة العلاقات القرابية بين سكان القرية.

٥- شدة انتماء الجماعة إلى فضائها ومركزها بما يدفع إلى الخصوصية والتمايز في الهوية الثقافية عن الجماعات القروية المجاورة (اختلاف اللهجة والزي والطعام والشراب ونمط العمل).

أما هنري مندراس (Henri Mendras) فينقلنا من الصورة السكونية للمجتمع القروي الفرنسي خلال القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر إلى صورة جديدة يتابعها في حراكها الأقصى والعمودي الذي ميّز خصائصها في وضعيتها الجديدة.

فالتحولات الجديدة التي صحبت القرن التاسع عشر أدت إلى حصول اختلالات جوهرية في بنية المجتمع الفلاحي الفرنسي، فلم يعد الاكتفاء الذاتي في المجتمع الريفي قائمًا على النشاط الحرفي والزراعي، ولم تعد التقسيمات القائمة على العمر والجنس والتقارب في مستوى الدخل قادرة، كعناصر تميز الفضاء الريفي، على مواجهة متطلبات المجتمع الرأسمالي. لذلك حصل اختلال ديمغرافي في علاقته بالموارد الاقتصادية المحلية بما حتّم الانفتاح على المحيط الخارجي وظهور الهجرات

العمالية إلى المدينة للعمل في الصناعة سرعان ما لحقتها هجرة الأعيان الريفيين الذين وظّف الكثير منهم ثرواتهم في المشاريع الصناعية الجديدة، وهجرة الحرفيين بعد تأزم إنتاجهم بسبب منافسة القطاع الصناعي للقطاع الحرفي وقاد إلى بتلاعه.

لقد فقد الريف والمجتمع القروي العديد من قواه الاقتصادية والبشرية ولم يبق سوى الفلاحين بوضعياتهم التي تميزت بالتبعية ومضايقة قطاعات التجارة والخدمات والصناعة لنشاطاتهم التقليدية. وكانت نشأة القرى الجديدة والمدن الصغيرة على تلك الأسس الصناعية تدفع بالفلاح إلى العمل على تغيير وضعيته وتبديل هويته للحاق بركب النشاط الاقتصادي الرأسمالي الجارف.

يشير مندراس إلى أن الفلاح الفرنسي كان مطالبًا بتعديل ساعته على ضوء التغيرات الجديدة التي لم تكن تهدّد مركزه ومكانته فقط ولكنها كانت تتيح له فرصًا جديدة لتنمية موارده واحتلال مكانة اجتماعية واقتصادية جديدة.

هذا التحول الجارف لم يمنع مندراس من التنبه إلى بعض الإشكاليات المنهجية التي أصبحت تعترض دارسي المجال الريفي مثل إشكالية التداخل بين المجال الريفي والمجال الحضري، ومثل ظهور مشكل المفاهيم **"نهاية مفهوم المزارع"** والذي عبّر عنه من خلال عنوان كتابه "La fin des paysans" فالقرويون لا وجود لهم إلا من خلال مقارنتهم بالمدينة وبالمجال الحضري المحيط بهم، فإن لم نجد مدينة لا نجد قرويين[٨].

---

(٨) انظر أعمال مندراس، وهي عبارة عن دروس "مقررات" وكتب:

- Sociologie rurale, Institut d'Etudes Politiques de Paris, Amicale des élèves, (1963-1964) et (1967-1968).
- Sociologie de la Campagne Française, Que sais-je ?, n°842, Paris P.U.F, 1959 (réaction, 1965).
- Sociologie rurale : notions, générales et S. du changement, Institut des Hautes études de droit rural et d'économie agricole (IHEDREA).
- « Sociologie du milieu rural », dans : Georges Gurvitch (dir], traité de sociologie, paris, P.U.F, 1958, (2 volumes).
- « objet, méthode et organisation de la sociologie rurale » in, Economie rurale, n° 47, 1961, p p 67-72.
- Henri Mandras, la fin des paysans, éditions des actes du sud, Babel, Paris, 1984.
- Henri Mandras : sociologie rurale, les cours de droit, 1956-1957, Institut d'études politiques de Paris, C3 fascules).

إن البدايات التأسيسية لعلم اجتماع القرية تعود أيضًا إلى جان ستوزل (Jean Stoetzel) الذي كان يدرس سوسيولوجيا القرية بمعهد الدراسات السياسية بباريس خلال سنتي ١٩٤٨م و١٩٤٩م ثم عهد بهذا الدرس إلى هنري مندراس الذي اعتبر من أوائل الباحثين الذين طوّروا المعرفة بالشأن القروي من خلال محاولاته بناء نماذج نظرية لتطور المجتمع الفلاحي والقروي في فرنسا.

وكان مندراس قد توصل في بداية الستينيات من القرن العشرين إلى ضرورة قيام حوار عميق وصريح بين منتجي المعرفة السوسيولوجية وبين "زبائن" هذا التخصص وذلك بمعية الاقتصاديين خاصة[٩].

مظاهر التحول الجذري في القرية الفرنسية: تمثل عملية اعتماد الزراعة الفرنسية منذ العشرية الثانية من القرن العشرين على أساليب عمل جديدة مثل إدخال الجرّار وآلة الحصاد من جهة واستخدام الطرق العلمية المتطورة كالتسميد وانتخاب تربية الماشية والدواجن وميكنة الإنتاج الزراعي ومشتقاته، أهم مظاهر التحول في الريف. وهذا الاعتماد المتوسّع على التقنية والعلم أدى إلى تحوّل في ثقافة الفلاح ووعيه وبالتالي أدى إلى تغير وضعيته الاجتماعية، فهذا المزارع العصري بدأ في السيطرة على الطبيعة بأرضها ومناخها فاكتسب بذلك عقلية مشاريعية اقتصادية مرتبطة بالسوق.

وهكذا لم يعد مجرد مزارع تقليدي بل أصبح رئيس مؤسسة ومديرًا ومقاولًا ومحاسبًا وميكانيكيًا يعتمد التخصص كما أصبح يرتبط بشبكة إنتاج وتبادل وطنية إن لم تكن عالمية. لكن هذا الاتجاه إلى التخصص واختلاط الأدوار أدى إلى تعقيدات ملحوظة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية رغم إنشاء التعاونيات والشركات والجمعيات.

---

(٩) انظر دراسته حول "موضوع ومنهج وتنظيم علم الاجتماع الريفي" (المذكورة أعلاه)، ص ٧١.

أما على مستوى التحول في المكانة الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع القروي فإن مندراس يكشف عن أهم مظاهر التحول في المجتمع الزراعي المحلي الفرنسي من خلال ما لاحظه من تحول إيجابي لمكانة المزارع (Fermier) وتراجع لمكانة المالك (Propriétaire)، فقد أصبحت الكفاءة التقنية والنجاعة الاقتصادية هي الوسائل اللازمة لاعتراف المجتمع بالفاعلين الاقتصاديين الجدد، كما أصبحت إنتاجية الأرض ومردودية المشروع الزراعي هما المعياران الأساسيان لتأكيد المكانة الاجتماعية وتحقيق التمايز.

إن قيمة القطيع ومردودية الأشجار وحداثة المعدات الفلاحية تضاهي، إن لم تكن تفوق، أهمية الأرض والمنشآت القائمة عليها.

إن المكانة الجديدة للفلاح أصبحت تستمد من كثافة النشاطات التي يقوم بها في وضعه الجديد مثل عمليات البيع والشراء والاقتراض والتدريب والترويج والتخزين، ويمثل التعامل الواسع مع البذور والأسمدة أفضل الأمثلة النموذجية لهذا النشاط.

يعتبر مارسيل جوليفي (M. Jollivet) أن علم الاجتماع الريفي نشأ في الغرب في علاقة وطيدة مع علوم مجاورة له باعتبار أن مجال اهتمام هذه العلوم ظل ولا يزال مشتركًا. وهذه العلوم هي: الجغرافيا والاقتصاد الريفي والتاريخ الاجتماعي والاثنولوجيا وعلم النفس والديمغرافيا[١٠] لكنه سرعان ما حدّد مجاله وأصبح يهتم بكل ما يتعلق بالمجتمعات الريفية.

وبتقدم هذا العلم أصبحت مجالات التخصص الفردي تظهر فيه مثل علم الاجتماع الزراعي والتنظيم الفلاحي وغيرها. كما تم التركيز في بعض المراحل على الداخلي مرة "Le dadans"، "inside" وأخرى على الخارجي "le dehors"، "the outside".

---

(١٠) Marcel Jollivet, « la vocation actuelle de la sociologie rurale » in , Ruralia, n°1, 1997, p2.

التطورات الحديثة: وبمرور الزمن مرّت مجالات الاهتمام في علم الاجتماع الريفي من قضية إلى أخرى فمن المسائل القديمة مسألة علاقة التعارض بين المدينة والقرية، ثم جاء الاهتمام بالتحولات في مجالات الاستغلال والعمل وعلاقة المستغلات بالأسرة ثم مكانة الفلاح والمزارع في المجتمع وعلاقة ذلك بالبنية السياسية، وقد صحب هذه المرحلة نقاش واسع طرح موضوع البيئة التي تحولت إلى موضوع تدعمه الدولة والبنيات والمنظمات المدينة وكاد أن يصبح موضوعًا سياسيًا وأيديولوجيًا بحتًا[١١].

لقد تنبه بعض الباحثين الغربيين إلى عمليات التّشكل وإعادة التشكل في المجتمعات الريفية الغربية التي أطلق عليها برناركايزر عبارة "النهضة الريفية" (la renaissance rurale)[١٢]. فكل تغيير سريع في نظره يكون مصحوبًا بخيبة أمل وأزمة في الهوية.

وقد اتخذت هذه "النهضة" في فرنسا وغيرها من البلدان الغربية شكلًا ديمغرافيًا، فقد بدأت عملية التحديث الزراعي منذ القرن الثامن عشر ولكنها أخذت مداها الحقيقي في منتصف القرن العشرين من خلال[١٣] حصول تغيرات وتأثيرات عميقة، وهي تغيرات ليست على الشاكلة التي أظهرها المنظرون الماركسيون الذين ربطوها، أساسًا بتدخل النظام الرأسمالي في المجتمع الزراعي والريفي، بل إن التحول الملحوظ يتمثل في انفتاح المستغلات الزراعية العائلية اقتصاديًا وتقنيًا على المحيط الصناعي الجديد الذي انطلق من المدينة.

---

(١١) Nicole Mathieu et Marcel Jollivet [dir], du rural à l'environnement : la question de la nature aujourd'hui, Paris, ARF, éditions l'Harmattan, 1989, p 352.

(١٢) Bernard Kayser : la Renaissance rurale, sociologie des campagnes du monde occidental, paris, Armon Colin, 1990.

(١٣) Bernard Kayser : la Renaissance rurale, sociologie des Campagnes du monde occidental, Paris, Armon Colin, 1990.

وإذا كان مندراس (Mendras) يؤكد على "نهاية الفلاح" فإن كايزر يعتبر أن الثورة التكنولوجية التي مست المجال الريفي لم تنه الفلاحين الذين حافظوا على خصوصيتهم وعلى نمط معيشتهم، لكن المشكلة تكمن في الخلط بين الفلاحين الحقيقيين وغير الفلاحين، وبين كبارهم ومتوسطيهم وصغارهم، كما ظهرت إشكالات منهجية سببها تداخل أنماط الإنتاج وتعدد النشاطات الفلاحية وتداخلها مع أنشطة أخرى خارج المجال الزراعي.

وقد أكّد كايزر على جوهر ما عرفه الريف الفرنسي وبالتالي الأوروبي من مظاهر التحول التي تمثلت في عملية التهيئة الترابية الريفية (l'aménagement de l'espace rural) وعملية التنمية الريفية التي ارتبطت بمفاهيم جديدة عرفت أوجها في الثمانينيات من القرن العشرين والتي لم تستطع الاشتغال بدون تدخل خارجي.

ب) المدرسة الأمريكية

إذا كانت السوسيولوجيا القروية اتخذت في فرنسا اتجاها مونوغرافيا فإن السوسيولوجيا القروية الأمريكية اتخذت لنفسها مسارًا امبيريقيًا. وتمثل كلتا المدرستين أهم المدارس العالمية التي تصدت للمسألة القروية والريفية. وكلتاهما استثمرت خلاصات العلوم الأخرى المجاورة، لكن المدرسة الفرنسية كانت أكثر ميلًا إلى علمي الجغرافيا والاقتصاد في حين أن المدرسة الأمريكية استثمرت الأنتربولوجيا.

لقد قام مارسال جوليفي (Marcel Jollivet) بعملية رصد كرونولجي لمساهمات الرواد في تأسيس علم اجتماع القرية أو علم اجتماع الريف مبينًا التكامل بين كلتا المدرستين.

ويعتبر ليبرتي هايد بيلهي (Liberty hade bailey) (١٨٥٨-١٩٥٤م) المؤسس الأول للسوسيولوجيا القروية بالولايات المتحدة الأمريكية، رغم تخصصه البيولوجي، فمنذ عشرينيات القرن العشرين بدأ ينجز أعمالًا حول الموضوع وخاصة

بعد التحاقه بمدرسة الفلاحة بميشغان. وكان في ذلك متأثرًا بمدرسة شيكاغو التي ركزت على مفهوم "الاندماج". (L4INT2GRATION) بعد أعمال كل من وليام توماس (William Thomas) وفلوريان زنانيك (Florian znanieck) حول الفلاح البولوني في كل من أوروبا وأمريكا ما بين ١٩٥٨م و١٩٢٠م. وقد بلور الباحثان في هذا الكتاب الشهير والمؤسس (خمسة أجزاء) مفهوم الاختلال الاجتماعي (desorganisation sociale) الذي ظل مهيمنا على نقاشات المدرسة حتى أواسط الثلاثينيات. لقد عرفت سوسيولوجيا القرية في كل من الولايات المتحدة وكندا وأمريكا اللاتينية تطورًا ملحوظًا بفضل ما أنجزته الدراسات الميدانية المطبقة على قضايا الريف والفلاحة(١٤).

ويعتبر ريد فيلد (R. Redfield) من أهم علماء الاجتماع الذين درسوا القرية في كتابه "المجتمع القروي والثقافة" الذي ركز فيه على دراسة اتجاهات القيم لدى القرويين(١٥).

كما أكد وجود علاقة مقدسة بين الفلاح والأرض وبينه وبين العمل الزراعي... وقد أكد ريدفيلد في دراسته لعمليات التأثّر والتأثير من منظور أنثروبولوجي على ما سماه بـ "التقليد الصغير في القرية مقابل "التقليد الكبير" في المدينة، وهذا التناظر ليس بالضرورة تناظرًا تعارضيًا بل هو تناظر متكامل لأن العلاقة وشيجة بين المجتمعين(١٦).

---

(١٤) ديوان أصدقاء المغرب – مقدمة في السوسيولوجيا القروية... السوسيولوجيا المغربية (ملف ٦ يونيو ٢٠١١م) مقال إلكتروني: http://groups.google.com/group/foyad61/.

(١٥) روبرت ريدفيلد، المجتمع القروي وثقافته، ترجمة مجموعة من الأساتذة، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٣م.

(١٦) Redfield, R, the primitive world, New York, 1993, p 165.

لكن سوروكين Sorokin في كتابه **"مبادئ علم الاجتماع الريفي"** يورد أدلة مناقضة لما ذهب إليه ردفيلد في طابع العلاقة الروحية بين الفلاح والأرض. ويتفق معه بتكن Pitkin في دراسته لأرياف جنوبي إيطاليا، حيث يعتبر أن علاقة الفلاح الإيطالي بكل فئاته بالأرض ليست سوى علاقة مصلحة ومنفعة مادية من أجل ضمان المعيشة.

وفي سياق ثنائية "مدينة - قرية" التاريخية حدد كل من سوروكين وزمرمان Zimmerman نماذج للتمييز بين المجموعات الريفية والمجموعات الحضرية، تتمثل في نوعية النشاط الغالب لدى كل مجموعة فتصبح ممارسة النشاط الفلاحي والرعوي والارتباط بالأرض مؤشر اقتراب أو ابتعاد عن القرية والمدينة[١٧].

ج) مساهمة الأنتربولوجيا في دراسة القرية (المدرسة الأنتربولوجية)

وقد ساهم علماء الأنتربولوجيا الاجتماعية والثقافية وخاصة الأمريكان منهم مساهمة هامة في تطور الدراسات المونوغرافية حول الأرياف والتجمعات القروية في بعض أنحاء العالم وخاصة في أفريقيا وآسيا وأستراليا ومن هؤلاء الأمريكية روث بندكيت (Ruth Benedict) التي ألفت كتاب **(أنماط من الثقافة)** عام ١٩٣٤م واعتبرت أن دور الأنتربولوجيا هو توضيح أوجه الاختلاف بين الثقافات مركزة على أوجه التكامل الثقافي من خلال دراسة نماذج من الشخصية. وقد طبقت ذلك على ثلاثة مجتمعات محلية هي: الدوبو والزوني والكواكيوتيل في الولايات المتحدة وكندا وهم من الهنود الحمر.

ومنهم الأمريكية مرجريت ميد (Margret Mead) التي اهتمت بدراسة الظواهر السلوكية في إطارها الثقافي، ودرست النوع الاجتماعي وعلاقته بالمزاج في ثلاثة

---

(١٧) T. Lynn smith, la sociologie rurale aux Etats-Unies et au Canada, SAGE Publications, Inc, 1957.

مجتمعات محلية هي الأرابيش والموندوجومور وتشامبولي كما درست المراهقة في مجتمع سموا والنمو في غينيا الجديدة بأستراليا من خلال جزيرة مانوس مركزة على دور الإطار الثقافي العام للقرية البدائية.

ومنهم مالينوفسكي (Malinowbeski) البريطاني الذي درس مجتمع جزر التروبرياند وحاول اختيار (عقدة أوديب)، عند سغموند فرويد من خلال تطبيقها على مجتمع "بدائي" بسيط. تقع هذه الجزر شرق غينيا الجديدة في أستراليا ويعمل سكانها في الصيد والزراعة، وكان ذلك في سنة ١٩١٣م. درس علاقات القرابة ودور المرأة.

وكذا يتضح الدور الفعّال الذي قام به الأنتربولوجيون في دراسة القرية، وذلك بفضل إماطتهم اللثام عن عديد من الثقافات المهجورة في القرية والمجتمعات المهمشة. وعلى الرغم مما توصف به أعمالهم من سطحية واستعجال فرضها الوصف وحفّت بهما الغرابة والطرافة الاستشفائية فإن أعمال الأنتربولوجيين شأن الرحالة والجغرافيين القدامى تعتبر من الأعمال التي ساهمت في تطوير علم اجتماع القرية العالمي.

هؤلاء الأنتربولوجيون تمكنوا من الاستفادة من نظريات علم النفس حيث قام العديد منهم باختبار بعض الفرضيات السيكولوجية، لكن هذه الاستفادة وذلك النقد كانا قد أسسا على ضوء التطبيقات على ما سموه بـ"الشعوب البدائية" أو "الجماعات الصغيرة"، حيث ظهرت عدة مناقشات ساهمت بدورها في تطوير العلوم الإنسانية عامة.

كما تميزت الدراسات الأنتربولوجية المطبقة على القرى والجماعات الريفية بالتعمق في دراسة موضوع الشخصية وعلاقتها بالثقافة. كما حاول هؤلاء الأنتربولوجيون اختيار نظرية فرويد وآرائه في الثقافة وتكون الشخصية ومنهم مالينوفسكي وبندكيه وميد وجورر وغيرهم.

لقد ساهمت هذه الدراسات في تطور المعرفة ببعض المناطق والمجتمعات المحلية المجهولة من العالم وصححت كثيرًا من الصور النمطية السائدة حولها.

ولم تفتأ هذه التوجهات الأنتربولوجية أن تحولت إلى دراسات موسعة للشخصية، جاءت نتيجة ارتفاع الطلب على معرفة خصوصيات الشعوب غير الأمريكية كاليابان و"الاتحاد السوفياتي" وغيرهما. لكن معظم هذه الدراسات حول الشخصية والثقافة كانت قد اتخذت منطلقات سياسية وأيديولوجية موجهة.

فقد عادت روث بندكِتْ لدراسة أساليب التنشئة في الشخصية القومية اليابانية (١٩٤٦م) مثلما حاول جورر Gorer دراسة كل من الشخصية الروسية والشخصية الأمريكية دراسة مقارنة (١٩٤٨م).

ومن الدراسات الحديثة ما أجراه الأنتربولوجي التونسي منذر كيلاني من أبحاث حول القرى والمجموعات الأفريقية وخاصة دراساته حول القرية السواحلية الأفريقية بالنيجر[١٨]. كما تعتبر دراسات نيكولاهوبكنز حول بعض قرى المغرب العربي وخاصة دراسة لقرية "تستور"[١٩] من الأمثلة الدالة على دور الأنتربولوجيين المعاصرين في التعريف بالقرية وإبراز دورها وإدخالها للتاريخ من جديد وقد ساهمت هذه المجهودات العلمية من بعيد أو من قريب في تطوير المعرفة السوسيولوجية بالعالم القروي محليًا وعالميًا.

٢- علم الاجتماع الريفي، النشأة والتطور

لم يصبح علم الاجتماع الريفي (Rural Sociology) تخصصًا معرفيًا معاصرًا إلا مع بدايات النصف الثاني من القرن العشرين. وقبل هذه الفترة، ورغم إشارات

---

(١٨) Monther Kilani et Maman Waziri Mato, Gomba Haussa, Dynamique du changement dans un village sahélien du Niger, Editions Payot Lausanne, Suisse, 2000.

(١٩) Nicolas Hopkins, transformation des campagnes Maghrébines, Cérès productions, Tunis, 1983.

المؤسسين إلى أهمية دراسات المجتمع الريفي منذ نهايات القرن التاسع عشر ومع بدايات القرن العشرين، كانت تلك الدراسات من صميم تخصصات مجاورة لعلم الاجتماع أو من صميم مباحث علم الاجتماع العام.

ومن بين تلك التخصصات الجغرافيا باعتبار أن البيئة الريفية كانت تحتاج لها جميعًا[٢٠]. كما ارتبطت الدراسات حول الريف بمجال الأنتربولوجيا الاجتماعية[٢١] في عدة بلدان وخاصة في أمريكا اللاتينية وإفريقيا ومصر تحديدًا، بعد أن انبثقت الاهتمامات بنظم الفلاحة والرعي من دراسة النظم القبلية الموصوفة بالعتيقة فيها.

وكانت البداية المزدهرة لعلم الاجتماع الريفي مرتبطة بالولايات المتحدة منذ بداية الثلاثينيات من القرن العشرين على إثر التعقيدات التي أفرزتها الأزمة الاقتصادية (١٩٢٩م)، فقد قام روبرت ريدفيلد (R. Redfield) وأوسكار لويس (O.Louis) بدراسة بعض المجتمعات الريفية في مجتمعات أمريكا الجنوبية، وقد ارتبط هذا التطور بظهور مجلة علم الاجتماع الريفي سنة ١٩٣٦م كجزء من عملية البحث عن الحل العلمي لمشاكل الريف الأمريكي.

ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لأوروبا حيث تأخر فيها الاهتمام بهذا العلم الجديد بالمقارنة مع ما حصل في الولايات المتحدة وخصوصًا مع ظهور الأبحاث الميدانية[٢٢] المرتبطة بالنزعة التجريبية الوظيفية في علم الاجتماع. هذه النزعة لم تأخذ طريقها إلى أعمال علماء الاجتماع المهتمين بالمجال الريفي إلا مع بدايات الخمسينيات، بعد أن كانت النزعة النظرية قد طغت على أعمال الأجيال الأولى من المختصين. ولم يجد هذا

---

(٢٠) Marcel Jollivet : « la vocation actuelle de la sociologie rurale, dans ruralia, N°01, 1997.

(٢١) دراسات في علم الاجتماع الريفي، بيروت، ١٩٨٢م.

(٢٢) C.S. stokets and M.K.Miller « Methodological review of research in rural sociology since 1965 » in rural sociology. Vol 40 winter 1975. pp. 411-434.

التخصص طريق الاعتراف الأكاديمي لدى الجامعات إلا بشكل متأخر لأسباب سياسية مرتبطة أساسًا بطبيعة الأنظمة السياسية التي هيمنت في فترة ما بين الحربين، ففي فرنسا درست الحياة الريفية في نطاق الجغرافيا البشرية. ورغم التحولات التي عرفتها المجتمعات الأوروبية ذات التقاليد الفلاحية العريقة مثل فرنسا فإن المجتمع الريفي ظل في أواسط القرن الماضي محافظًا على نوع من استقلاليته وخصوصيته (ثراء تقاليد صناعة الأجبان والخبز والخمور) هذه المقاومة منعت التحولات الجارفة من اختزال سكان الريف الفرنسي في مجرد جماعات مهنية أو طبقية(٢٣).

ويمكن تلخيص المشاغل الرئيسية لعلم الاجتماع الريفي في فرنسا منذ بداية الخمسينيات إلى اليوم في:

١- العلاقة التعارضية بين المدن والأرياف وعلاقة ذلك بالتصنيع والتحديث.

٢- التحولات في النظام الفلاحي والأشكال الجديدة للاستغلال والعمل في الفلاحة وظهور سوسيولوجيا الفلاحية (العائلة الفلاحية - المستغلات الفلاحية).

٣- مكانة الفلاحين في المجتمع الفرنسي وعلاقتهم بالحركات الاجتماعية والسياسية.

٤- سياسات التهيئة المجالية وعلاقتها بالتنمية المحلية.

٥- علاقة التنمية بـ "الطبيعة" ومشاكل التلوث وتجديد وحماية الموارد الطبيعية، وسيطرة مشاغل البيئة.

أما في ألمانيا فقد درست قضايا المجتمع الريفي في نطاق "السياسات الزراعية" كما تم التركيز في بريطانيا على الحياة الحضرية وارتباطها بتوسع ظاهرة التصنيع وتم فيها الاقتصار على دراسة الأرياف في الجوانب القيمية والأخلاقية.

---

(٢٣) Henri Mendras : « sociologie du milieu rural » dans « traité de sociologie, « div george dir. George Gurvich) PUF, 1958.

وعلى العكس من ذلك فإن بلدان أوروبا الشرقية (البلدان الاشتراكية) كانت قد عرفت نهضة كبيرة في مجال الدراسات الميدانية المتعلقة بالريف وارتبطت تلك النهضة بالسياسات الزراعية المعتمدة على الإصلاح الزراعي والتنظيم المجالي التعاوني وإنشاء المزارع الجماعية بهدف تغيير العلاقات الاجتماعية والاقتصادية في الريف (دراسة سيموس Seimoss).

أما في البلدان النامية فقد ارتبط ظهور الدراسات حول المجتمع الريفي بما يسمى بتقاليد المدرسة الاستعمارية (فرنسا - الهند - مصر) وامتداداتها المنحصرة أساسًا في المدرسة الانقسامية (Ségmentarisme) التي ركزت على المناطق النائية أو ذات الصعوبات المناخية كما هو الحال بالنسبة لقبائل الأطلس في المغرب وقبائل النوير في السودان وبعض القبائل الليبية. لقد كان أغلب "المبشرين" بهذه الدراسات التي شملت الفضاءات الريفية والبدوية حيث تستوطن القبائل ينتمون إلى البلدان الغربية وبالخصوص فرنسا والولايات المتحدة وإنجلترا.

وقد استطاع كلنر وبرتشارد وبارك ومونتاني ودوتي وغيرهم أن يزرعوا بذرة البحث الميداني في العديد من أبناء هذه البلدان المدروسة. ورغم الظهور المبكر للدراسات السوسيولوجية في البلدان النامية فإن علم الاجتماع الريفي بقي تخصصًا شبه مجهول ما عدا بعض الاستثناءات مثل مصر وبشكل أقل سوريا ولبنان والعراق والسودان.

وكانت الدراسات المتعلقة بالظاهرة الريفية في الأقطار المغاربية في العصر الوسيط لا تتناسب مع الدور التاريخي والحضاري للأرياف، ولم يتناولها الدارسون إلا بكيفية جزئية أو عرضية أثناء الاهتمام بالمسائل السياسية والأمنية والحضارية. ويُفسَّر هذا الأمر بندرة الوثائق المتعلقة بموضوعات الريف والريفيين والفلاحة والحياة

البدوية مع سيطرة شبه كلية لكتب الحوليات والتواريخ على غيرها مما يفسّر ضحالة المعلومات الاقتصادية والاجتماعية في هذا الشأن[٢٤].

وقد تنبه بعض المؤرخين إلى الأهمية المعرفية التاريخية لكتب الطبقات والفقه والفتاوى في مدنا بصور حقيقية عن الحياة اليومية في المجتمع عامة وفي المجتمع الريفي خاصة[٢٥]. فالونشريسي يخصص في فتاويه فصولًا هامة تتناول المجتمع الريفي مثل "فصل المزارعة والمغارسة والمساقاة والشركة"[٢٦] وكان جاك بيرك (J. Berque) قد تنبه إلى أهمية كتب النوازل وتبنى المنهج التاريخي المقارن لاكتشاف الخصوصيات التاريخية لحياة سكان الريف في المنطقة حينما استخرج الأبعاد العلمية لـ "نوزال المزارعة" في المغرب الأقصى[٢٧].

وكان للريف في الحضارة العربية الإسلامية مكانته الكبيرة، إذ كان مفهومه يتضمن معاني الخصب والثراء والسعة، وفي العصر العباسي كان يطلق على الأرياف الخصبة عبارة "سواد العراق" فالخضرة عند العرب تقترن بالسواد. والريف يختلف عندهم عن البادية التي قوامها الارتحال والانتقال والرعي وانتجاع الكلأ والماء وقد ميز العرب قديمًا بين بر مقفر وريف مقمر[٢٨].

---

(٢٤) محمد بنة حسن: القبائل والأرياف المغربية في العصر الوسيط، دار الرياح الأربع، تونس ١٩٨٦م.

(٢٥) R. Brunschvig - l'intérêt historique des Ahquams et des Nawazils, in A.L.EO. 1943.

(٢٦) الونشريسي، كتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨١م.

(٢٧) انظر مقال: الرق، في الموسوعة الإسلامية الطبعة الجديدة (بالفرنسية) (J. Berque: Les Narvazil du miyar Al-Wazzani, Rabat, 1940).

(٢٨) القلقشندي – الأعشى، عن مجلة المجمع العلمي العراقي "الريف والسواد"، سنة ١٩٨٨م.

ولم يعرف علم الاجتماع الريفي طريقة إلى الجامعات العربية إلا مع العقد الثالث من الاستقلال (الثمانينيات) حيث ظهر بشكل محتشم في كل من تونس والجزائر[٢٩] والمغرب وليبيا وبعض الأقطار العربية المشرقية، ولكنه ظل خلال ذلك العقد محكومًا بنزعة سكولاستيكية (مدرسية) نظرية، ما عدا بعض الاستثناءات التي ظهرت هنا وهناك والتي اعتمدت على اجتهادات قام بها بعض أساتذة الجامعات والمعاهد العليا المتخصصة مثل بعض من أساتذة الجامعة التونسية (جان ديفنيو Jean Divignaud) وبعض أساتذة الجامعة المغربية (بول باسكون Paule Pascon)[٣٠]. وكان علم الاجتماع الريفي قد عرف طريقه إلى الجامعة المصرية والسودانية بشكل مبكر نسبيا حيث شق طريقه إليها منذ الثلاثينيات ولكنه كان يرتبط بالدراسات الأنتربولوجية.

ورغم ذلك فإن الدراسات الأنتربولوجية لم تهتم بالريف في حد ذاته لانشغالها بتطبيق النظريات والمفاهيم، التي كان قد اكتشفها الأنتربولوجيون، على المجتمعات الخارجة عن المركز الرأسمالي، بل كان الاهتمام بالريف عرضيًا وبسبب توطن القبائل والمجموعات العرقية والثقافية فيه لا أكثر ولا أقل.

لذلك لم يحظ الريف كفضاء ونظام اجتماعي بالدراسة اللازمة شأن الدراسات الأنتربولوجية في ذلك شأن الدراسات الجغرافية التي ظلت رهينة التفصيلات المناخية والجيولوجية والتضاريسية، أما الجوانب الاجتماعية فيها فكانت ضئيلة.

---

(٢٩) يشير عالم الاجتماع الجزائري عروس الزبير إلى ضحالة حصيلة الإنتاج العلمي حول الريف الجزائري، فخلال الثلاث سنوات الماضية لم تتم مناقشة سوى ثلاث أطروحات دكتوراه في علم الاجتماع الريفي، انظر عروس الزبير، "مدخل إلى تاريخ وواقع الممارسة السوسيولوجية: المدرسة المغاربية نموذجًا." في "المستقبل العربي" العدد ٤٠٠، حزيران (يونيو) ٢٠١٢م، ص ١٢٤.

(٣٠) Jean Divignaud, chebika : mutations dans un village au Maghreb, éd. Gallimard, Paris, 1987.

أما في الفترة الراهنة فإن الطابع الاقتصادي والأوضاع البيئية حكمت على الدراسات الاجتماعية العربية بالتوزع بحسب تلك الخصوصيات، فالمجتمعات العربية التي عرفت حراكًا بحثيًا في الموضوعات الريفية هي المجتمعات التي ظل الريف يلعب في اقتصادياتها دورًا بارزًا وخاصة في القطاع الزراعي المرتبط بالاقتصاد الوطني لتلك المجتمعات، وهذا ما ينطبق على مصر وبلاد الشام وبلدان المغرب العربي. أما في الأقطار البترولية كليبيا والعراق وبلدان الخليج فإن طابع التحضر السريع المدعوم بعائدات النفط أثر على عملية الاهتمام بالأرياف في الدراسات الاجتماعية التي هيمنت عليها موضوعات المدينة.